المحاضرة الخامسة: مسرح العبث - صدى عالم ممزق

مقدمة: انهيار المعنى في عالم ما بعد الحربعد أن شهدنا في المحاضرة السابقة كيف سعى المسرح الملحمي إلى تحليل الواقع وتغييره من منظور سياسي ونقدي، ننتقل الآن إلى تيار مسرحي مختلف تمامًا، نشأ في ظل أجواء اليأس والتشاؤم التي خيمت على أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.

مسرح العبث (Theatre of the Absurd) : لم يعد الهدف هنا هو تغيير العالم أو حتى فهمه بمنطق عقلاني، بل التعبير عن الشعور العميق بفقدان المعنى، وانهيار القيم التقليدية، وعجز الإنسان عن التواصل في عالم بدا وكأنه قد فقد كل منطق ونظام.

مصطلح "مسرح العبث" صاغه الناقد مارتن إيسلن (Martin Esslin) في كتابه الذي يحمل نفس الاسم عام 1961، لوصف مجموعة من الكتاب المسرحيين الذين ظهروا في فرنسا بشكل خاص خلال خمسينيات القرن العشرين، والذين تشابهت أعمالهم في التعبير عن هذا الشعور بالعبثية واللامعقول. لم يكن هؤلاء الكتاب يشكلون مدرسة منظمة ذات مبادئ محددة، بل جمعتهم رؤية مشتركة للعالم وتجريب مشترك في الأشكال المسرحية.تأثر مسرح العبث بالفلسفة الوجودية (خاصة أفكار ألبير كامو وجان بول سارتر حول عبثية الوجود وغياب الغاية النهائية)، وبصدمة الحربين العالميتين وما كشفتاه من وحشية ولا معقولية في السلوك البشري، وكذلك بتجارب مسرحية سابقة مثل السريالية والدادائية وأعمال ألفريد جاري (صانع شخصية "أوبو الملك").

1 سمات وخصائص مسرح العبث:

تميز مسرح العبث بمجموعة من الخصائص الشكلية والمضمونية التي شكلت قطيعة جذرية مع التقاليد المسرحية السابقة، بما في ذلك الواقعية والمسرح الملحمي:

- **غياب الحبكة التقليدية والمنطق**، إذ تتخلى مسرحيات العبث عن البنية الدرامية المنطقية والمتصاعدة. و غالبًا ما تكون الأحداث غير مترابطة، دائرية (تبدأ وتنتهي في نفس النقطة)، أو تتكرر بشكل لا نهائي، مما يعكس الشعور بالجمود وعدم الجدوى.
- **الشخصيات النمطية والمجردة** : الشخصيات في مسرح العبث غالبًا ما تكون بلا ماضٍ واضح أو دوافع نفسية مفهومة. هي أشبه بالدمى أو الأنماط المجردة التي تمثل حالة الإنسان

بشكل عام في مواجهة العبث. أسماؤها قد تكون غريبة أو عامة (مثل فلاديمير واستراجون في "في انتظار غودو").

- **الحوار المفكك وغير المتواصل**: اللغة في مسرح العبث تفقد وظيفتها التواصلية. الحوارات غالبًا ما تكون مبتورة، مليئة بالكليشيهات، التكرار، التناقضات، أو الصمت. يعكس هذا تفكك العلاقات الإنسانية وعجز اللغة عن التعبير عن المعنى أو الوصول إلى الآخر.3.الزمان والمكان غير المحددين: تجري أحداث مسرحيات العبث غالبًا في أماكن غامضة ومجردة (طريق مقفر، غرفة مغلقة)، وفي أزمنة غير محددة، مما يعزز الشعور بالضياع والعالمية.
- **المزج بين المأساوي والهزلي** :(Tragicomedy) يجمع مسرح العبث غالبًا بين المواقف المأساوية والمضحكة بشكل غريب ، الضحك هنا ليس ضحكًا ناتجًا عن الفكاهة التقليدية، بل هو ضحك مرير ينبع من رؤية عبثية الوضع الإنساني.
- **الصور المسرحية الغريبة والمقلقة** : يعتمد مسرح العبث بشكل كبير على الصور البصرية القوية والغريبة لخلق تأثيره (مثل الشخصيات المدفونة في الرمال في "أيام سعيدة" لبيكيت، أو تكاثر الكراسي في "الكراسي" ليونيسكو).

يُعتبر صمويل بيكيت أبرز كتاب مسرح العبث (Samuel Beckett)، الكاتب الأيرلندي الذي كتب معظم أعماله بالفرنسية، هو الوجه الأبرز لمسرح العبث. مسرحيته الشهيرة "في انتظار غودو (1953) (Waiting for Godot) "أصبحت أيقونة لهذا التيار.

تصور المسرحية شخصيتين، فلاديمير واستراجون، تنتظران بلا جدوى شخصًا غامضًا يدعى غودو، الذي قد يمثل الخلاص أو المعنى أو أي شيء آخر، لكنه لا يأتي أبدًا. تعكس المسرحية من خلال حواراتها المكررة وأحداثها الضئيلة شعورًا عميقًا بالانتظار العبثي واليأس الوجودي.

من أعمال بيكيت الهامة الأخرى "نهاية اللعبة (Endgame) "و"شريط كراب الأخير " (Krapp's Last Tape)و"أيام سعيدة .(Happy Days) "يوجين يونسكو (Eugène Ionesco)، الكاتب الروماني-الفرنسي، هو اسم رئيسي آخر في مسرح العبث. تتميز مسرحياته بنقدها اللاذع للغة المبتذلة، والامتثالية البرجوازية، وتفكك المنطق. في مسرحيته الأولى "المغنية

الصلعاء(The Bald Soprano) "، يقدم حوارات آلية ومفككة بين شخصيات إنجليزية نمطية، كاشفًا عن خواء التواصل الإنساني.

في مسرحية "الكراسي " (The Chairs)، يملأ زوجان عجوزان المسرح بكراسي فارغة لاستقبال ضيوف وهميين، في محاولة يائسة لإثبات وجودهما ومعنى حياتهما من أعماله الهامة الأخرى "الدرس" (The Lesson). من الكتاب الآخرين الذين يرتبط اسمهم بمسرح العبث جان جينيه (Jean Genet) في مسرحيات مثل "الخادمات The Maids " و"الشرفة The " Balcony)، وآرثر أداموف (Arthur Adamov) ، وهارولد بنتر (Harold Pinter) الذي طور أسلوبًا خاصًا عُرف بـ"كوميديا التهديد.(comedy of (menace " التأثير والإرث.

أحدث مسرح العبث صدمة كبيرة في المشهد المسرحي العالمي، وتحدى المفاهيم التقليدية للدراما واللغة والشخصية. وعلى الرغم من أن ذروة تأثيره كانت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، إلا أن إرثه لا يزال حاضرًا في الكثير من التجارب المسرحية المعاصرة التي تستكشف موضوعات العزلة، وفقدان المعنى، وأزمة التواصل.

كما فتح مسرح العبث الباب أمام لغة مسرحية جديدة تعتمد على الصورة، والإيحاء، والصمت، والمزج بين المأساوي والهزلي، وأثر على أجيال لاحقة من الكتاب والمخرجين الذين استلهموا جرأته في التجريب وتفكيك الأشكال. في المحاضرة الأخيرة من هذه السلسلة، سنلقي نظرة على اتجاهات ما بعد الحداثة في المسرح، وكيف استمرت في تفكيك السرديات الكبرى والتشكيك في مفهوم الحقيقة والواقع والتمثيل.

(يتبع في المحاضرة السادسة: اتجاهات ما بعد الحداثة في المسرح).